عظة قداس سبت الأموات
في كنيسة القديس نيقولاوس
في ٩ آذار ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، المسيح هو خلاصنا، هكذا نؤمن وبهذا نبشّر. المسيحي هو الإنسان الذي يسمع كلام يسوع والكلام فيه يصبح حياةً، يصبح قوة. كلام الرب يُزرع في قلب المؤمن فينمو. ولذا المؤمن إن مرّ في شدائد وقلاقل وأتعاب، إن اختبر الحزن والشدّ والضيق والقلق، يختبره كسائر الناس، أي حدّة هذه الأمور هي حدّتها في كل إنسان ولكنها تضعف عند المسيحي لأن الرب الساكن فيه يجعل هذه الأمور ضعيفة جداً أي بمقدار ما يزداد حبنا للمسيح يزداد إيماننا فيه، يخرج منا، يُبعد منا الضعف الذي ينتابنا والذي يهزّ كياننا.

يتساءل الكثيرون ماذا يحصل للإنسان بعد أن يموت. نحن لا نتداول في هذا الأمر كثيراً، لأنه مهما بحثنا يبقى سراً على كل إنسان. هناك بعض من يدّعي بأنه يعرف بشراً دخلوا الموت وخرجوا، ويبلبلون أفكار الناس ويشتتونها. نعرف من خلال الإنجيل بأن هناك من أقامه يسوع ورجع كابن تلك الأرملة وكألعازر ولكنه مات بعدئذ واستقرّ في الموت كما نعلم نحن. ولكن هناك قول في العهد الجديد، في المثل الذي أعطي من الرب عن الغني وألعازر الفقير. كيف أن الغني قُبر وبقي في التراب وكيف أن الفقير ألعازر أصبح في أحضان ابراهيم والمقصود في السماء أي أمام الرب.

وعندما كان ذاك يتعذّب في الألم بعيداً عن الرب لأن البعد عن الله هو جحيمنا. فبمقدار ما نبتعد فبمقدار ما يزداد النار في قلوبنا. قال الغني لابراهيم، دع ألعازر الفقير، دعه يرجع إلى أخوتي ويخبرهم ما يحصل. الجواب أتى وهو الجواب، عندهم موسى والأنبياء، عندهم الكتب، فمن لم يؤمن بما تكلم به الرب لا يؤمن بشيء. قال له، ولو قام واحد من الأموات لا يؤمن. وكأن الرب كان يشير إلى نفسه. هو الذي صلب ومات وقام وحتى اليوم معظم المسيحيين لا يؤمنون إيمانا حقا بأن الرب قد قام، لأنه لو كان هذا الأمر حاصل، لا من إنسان مسيحي يقع.

لو كنا نؤمن بأن المسيح قام، وبأنه قادر على الموت، وبأننا فيه قادرون على الموت، لا نخاف أمراً ولا نهتز لشيء. في صلاته الأخيرة، قبل أن يذهب يسوع إلى الصلب، رفع صوته إلى أبيه، وصلّى: أيها الآب القدوس احفظ هؤلاء، أي التلاميذ، أي كل مؤمن به، احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن. حين كنت معهم في العالم كنت

أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتمّ الكتاب. أما الآن فإني آت إليك وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم. أنا لست أصلي من أجل التلاميذ الذين حولي، من أجل هؤلاء، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً، كما أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا. أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً. أنا فيهم، أنا في من يؤمن بي يقول يسوع، وأنت فيّ، ليكونوا مكملين إلى واحد. فيّ وفيك يصبحون واحد ومتحدين بي وبك. أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني أن يكونوا معي حيث أنا.

الكلام واضح للمؤمن. الابن يسوع يرفع الصلاة إلى أبيه ويقول: أريد يا أبتي أن يكون هؤلاء معي حيث أكون. فأين الخوف لمن يؤمن بالرب يسوع. السؤال المطروح هو لغير المؤمنين أو للذين لا يريدون أن يقبلوا هذا الكلام وهم أحرار، ولكن أعطيَ للمؤمن عربوناً بأنه يكون أبداً مع الرب يسوع حيث يكون. أريدهم أن يكونوا معي حيث أكون، ولذا إذا أبي وأمي وجدي وأخي وكل العائلة يؤمنون بالمسيح أحزن إن افترقوا عني ولكنني لا أيأس، لأني أشتاق إلى الوجه ولكني أثق بأن الحياة فيهم إلى الأبد بيسوع المسيح الذي به أؤمن.

يا أحبة، ليس كل من يدّعي بالإيمان مؤمن. ولذا عندما نمرّ بالمرض وكنا من المؤمنين، الله يدربنا كما يدرّب المدرب الرياضي في الملعب والباحة. الله يدربنا على الانتصار على المرض، على الحزن، على الضعف، على القلق. بماذا تبشرون بالمسيح؟ نبشر إذا كان المسيح والعذراء على البارودة. أم نبشر بالمسيح القائم من بين الأموات. ماذا تختلفون عن الناس إذا لم تكونوا ولم يكن المسيحي. هو الإنسان الذي نرى في وجهه النور والفرح والمجد الإلهي وهو حيّ بيننا. ماذا نمنح الناس عن لم تكن هذه الأمور حاصلة عندنا؟ لماذا نختلف؟ لا بل كما قال الرب، قد يُلعن اسمه بسببنا أي ندعي بأننا ننتمي له ونحن لا نحيا حياته. لا تخافوا أمواتنا في رحمته. أيّ إله هذا، إذا كانت رحمته تحصرني في حياتي وحسب وأصبح في العدم.

فيا أحبة، لا تحزنوا كما يحزن باقي الناس الذين لا رجاء لهم. رجاؤنا هو المسيح. لا تخافوا، اذكروا الموت في كل يوم لأنكم عندما تذكرون الموتى كما يقول القديسون تتنقوا وتتطهروا وتدركون بأن كل شيء لا معنى له إلا أنتم في المسيح يسوع. آمين.